

أَحْكَامُ التَّعَامُلِ مَعَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ

تأليف

معالي الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

أعدده للنشر

فهد بن إبراهيم الضعيم

مكتبة
فوزان
للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أصل هذا الكتاب

محاضرة بعنوان : أحكام التعامل مع غير المسلمين، لمعالي
الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان الفوزان ، ألقاها بجامع
خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز
(رحمه الله) بمدينة جازان بتاريخ ٢/٢/١٤٢٩ هـ .

أَحْكَامُ
التَّعَامُلِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ

ح) دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

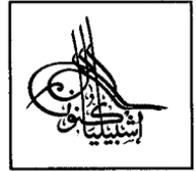
الفوزان، صالح بن فوزان
أحكام التعامل مع غير المسلمين/ صالح بن فوزان الفوزان؛ فهد
إبراهيم الضعيم (محقق) - الرياض، ١٤٢٩هـ.
٢٦ صفحة؛ ٢٠×١٤سم
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٠٠١-١٢-٧
١- أهل الذمة
٢- (المعاملات) فقه إسلامي
١- الضعيم، فهد إبراهيم (محقق) ب- العنوان
ديوي ٢٥٦,٩
١٤٢٩/٥٧٩٣

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٥٧٩٣
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٠٠١-١٢-٧

جميع حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧
هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠
E-mail: eshbelia@hotmail.com



تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والتسليم...
أما بعد:

شريعتنا الإسلامية كاملة وشاملة، وضعت الضوابط والأسس لتعامل المسلمين مع ربهم، وفيما بينهم، وأيضاً مع غير المسلمين؛ فقد وردت آيات وأحاديث للتعامل معهم، وعند اتساع رقعة العالم الإسلامي مع الفتوحات الإسلامية؛ حرص العلماء على تبيين أحكام هذا التعامل، وآليته في التجارة والقضاء وسائر المعاملات.

ومن العلماء في عصرنا العلامة معالي الشيخ الدكتور / صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء؛ فقد ألقى حفظه الله محاضرة بعنوان: أحكام التعامل مع غير المسلمين؛ وأذن لي بإخراجها وإعدادها للنشر.

وفي الختام أسأل الله أن ينفع بها، وأن يجزي شيخنا خير الجزاء.

فهد بن إبراهيم الفعيم

الرياض ١١٣٦٥ ص ب ٣٩٠٤٨٤

Email: msjd@gawab.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إذن طباعة

الحمد لله، وبعد: فقد أذنت للشيخ فهد بن إبراهيم الفعيم
بطباعة محاضرتي: (أحكام التعامل مع غير المسلمين) رجاء أن
ينفع الله بها، وجزاه الله خيراً، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وآله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

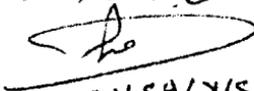
١٤٢٩/٧/٢٧ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المملكة العربية السعودية
رئاسة
إدارة البحوث العلمية والإفتاء
الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم :
التاريخ :
المشغولات :
الموضوع :

الحمد لله رب العالمين : فقد أذنت للتبليغ فهدية إبراهيم الفهم بطباعته :
صاحبكم « أحكام التعامل مع غير المسلمين » رجاء أن ينفع الله بها
وغيره من هبنا - وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

رئيسه
صالح بن فوزان الفوزان

١٤٢٩/٧/٢٧ هـ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعبادته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ① مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ ②، فالله جلّ وعلا خلق الخلق لعبادته، لا حاجته إليهم، أو إلى عبادتهم، لأنه غني عنهم، ولكن حاجتهم هم إلى الله، ففي عبادتهم لله يتقربون إلى الله سبحانه وتعالى، فالله جلّ وعلا يكرمهم، وينعم عليهم في الدنيا والآخرة، فعبادتهم لله لأجل مصلحتهم هم، أما الله جلّ وعلا فإنه غني عنهم، ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ③، فخلق الخلق لعبادته، وفطرهم عليها، فكل مخلوق يتجه بفطرته إلى الله، إلى خالقه، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ④ * مُبِينٍ إِلَيْهِ وَآتَقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ⑤ مِنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا ⑥ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ⑦،

(١) سورة الذاريات، الآية: [٥٦-٥٧].

(٢) سورة إبراهيم، الآية: [٨].

(٣) سورة الروم، الآية: [٣٠-٣٢].

وقال النبي ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)^(١) ، وفي الحديث القدسي أنّ الله جلّ وعلا قال: (خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم)^(٢) ، فالله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعبادته، وفطرهم عليها فهم يتجهون إلى الله جلّ وعلا بفطرتهم، ولكن شياطين الإنس والجن يفسدون الفطرة بالتربية السيئة، بدايةً بالأبوين، (فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)، وكذلك دعاة الضلال يفسدون الفطرة التي كانت صالحة وقابلة للخير، فيحولونها إلى فطرة خبيثة منجرفة.

والله جلّ وعلا خلق آدم ﷺ أبا البشرية وجعله نبياً مكلماً يعبد الله سبحانه وتعالى موحداً لله حنيفاً مخلصاً لله عزّ وجلّ، وتبعه أبناؤه وذريته من بعده إلى عشرة قرون وهم على دين أبيهم آدم كما ذكر ذلك عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما، كانوا على الدين الصحيح يعبدون الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾^(٣)، كان الناس أمةً واحدةً على الدين الصحيح، ليس بينهم تفرّق، ولا

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

(٣) سورة البقرة، الآية: [٢١٣].

اختلاف ثم اختلفوا بعد ذلك ، كما في الآية الأخرى : ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ﴾ ^(١) .

ومتى حدث هذا الاختلاف؟ حدث في قوم نوح عليه السلام ، فإنهم كانوا في بداية الأمر على الدين الصحيح ، وكان فيهم العلماء والدعاة إلى الله سبحانه وتعالى ، ولكن قدر الله أنه كان فيهم رجال صالحون ، وعلماء ماتوا في عام واحد ، ففقدتهم الناس وحزنوا عليهم ، فجاء الشيطان إليهم منتهزاً هذه الفرصة ، فقال لهم صوروا صور هؤلاء الصالحين ، وانصبوها على مجالسهم ، من أجل أن تتذكروا حالهم فتنشطوا للعبادة ، هكذا نصيحة الشيطان لبني آدم ، زين لهم أن هذا العمل يقصد به التذكر لأحوال هؤلاء الصالحين والاعتداء بهم حينما ينظرون إلى صورهم ، فصوروا صورهم ، ونصبوها لهذا القصد ، وكان فيهم العلماء ، ولم يتمكن الشيطان من أكثر من هذه الحيلة ، وانتظر حتى مات العلماء الموجودون ، وجاء جيلٌ جديد جهال ليس فيهم علماء ، ونُسَخَ العلم ، أو نُسي العلم ، فجاء الشيطان مرةً ثانيةً إليهم وقال : إنَّ آباءكم ما نصبوا هذه الصور إلا ليعبدوها ويسقوا بها المطر ، فزين لهم عبادتهم ، فعبدوها من دون الله عزَّ وجلَّ ، عند ذلك حصل الشرك ، وتغيَّر دين آدم عليه السلام ، وحدث الشرك في الأرض ، فبعث الله نبيه

(١) سورة يونس ، الآية : [١٩] .

نوحاً عليه الصلاة والسلام يدعوهم إلى الله، إلى عبادة الله التي كان عليها آبائهم وأجدادهم، يدعوهم إلى الرجوع إلى عبادة الله، لكن تمكن الشرك من قلوبهم فأصروا على عبادة هذه الصور، وقالوا: ﴿وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ الْهَيْكَلُ وَلَا تَدْرُنَّ وُدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يَغُوتَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴿١﴾.

هذه قصة حدوث الشرك في بني آدم، عند ذلك انقسم الناس إلى مؤمنين وكفار، الذين اتبعوا الرسل، وآمنوا بهم بقوا على الإيمان والتوحيد واتباع الرسل، والذين عصوا الرسل وخالفوهم انحازوا إلى الشرك وإلى الكفر، فانقسم الناس إلى مؤمنين، وكفار من ذلك الوقت، ولكن من رحمة الله سبحانه وتعالى أنه لم يترك عباده بل أرسل الرسل تترى، تتابع تدعو الناس إلى توحيد الله سبحانه وتعالى، وتعلم الناس دين الإسلام، فما زال الله يبعث الرسل في الأمم، إلى أن جاء عهد نبينا محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المرسلين، فأرسله الله إلى الناس كافة، وكان النبي قبله يبعث إلى قومه خاصة، أما نبينا ﷺ فإنه بُعث إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٢﴾.

(١) سورة نوح، الآية: [٢٣-٢٤].

(٢) سورة سبأ، الآية: [٢٨].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) ، ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ ^(٢) ، فلا يزال لطف الله جلّ وعلا، وفضله على عباده أنه لم يتركهم فريسةً لشياطين الإنس والجن، بَعَثَ الرسلَ وأنزل الكتب، وكان آخر ذلك محمد رسول الله خاتم النبيين، وكان الإسلام الذي جاء به خاتم الأديان، وهو دين الناس جميعاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلما انقسم الناس إلى مؤمنين وكفار، فالله سبحانه وتعالى أرسل الرسلَ لدعوة الناس إلى الرجوع إلى عبادة الله، وترك عبادة ما سواه، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ ^(٣).

شرع الله سبحانه وتعالى أحكاماً يتعامل بها المسلم مع الكافر، وهي أحكامٌ باقيةٌ ومستمرةٌ إلى أن تقوم الساعة، أول ما يتعامل به المسلم مع الكافر الدعوة إلى الله، دعوة الكفار إلى الإسلام، ودعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى، لأجل مصلحتهم، وهدايتهم، وسعادتهم في الدنيا والآخرة، قال الله جلّ وعلا لنبينا محمد ﷺ: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ

(١) سورة الأنبياء، الآية: [١٠٧].

(٢) سورة الأعراف، الآية: [١٥٨].

(٣) سورة الأنبياء، الآية: [٢٥].

وَالْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ ۗ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١﴾ ، وقال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٢﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٣﴾ ، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحٰنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٤﴾ ، فدعا ﷺ إلى الله كما أمره بذلك ، واستجاب له من استجاب ممن كتب الله لهم السعادة ، وخالف من خالف.

وقد شرع الله أحكاماً للمسلم وأحكاماً للكافر ، أولها: الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، فنحن لا نترك الكفار على كفرهم ، وعلى شركهم بل يجب علينا دعوتهم إلى الله لمصلحتهم وهدايتهم ، فدعوهم إلى الله ، وهذا أمر واجب مستمر إلى أن تقوم الساعة.

الدعوة إلى الله من أكد الواجبات ، وفيها إحسانٌ إلى البشرية ، لأجل أن يخرج الله من يشاء من الظلمات إلى النور ﴿كَتَبْنَا النُّورَ﴾ كِتَابًا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١٠٨﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿١٠٩﴾ .

(١) سورة النحل ، الآية : [١٢٥].

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : [٤٥ - ٤٦].

(٣) سورة يوسف ، الآية : [١٠٨].

(٤) سورة إبراهيم ، الآية : [١ - ٢].

هذا واجبٌ عظيمٌ علينا نحو الكفار، أن ندعوهم إلى الله، إلى الدخول في الإسلام، إلى ترك الكفر والشرك، إلى الرجوع إلى عبادة الله التي خلقوا من أجلها، وفيها سعادتهم وفلاحهم وصلاحهم، فالدعوة إلى الله أمرٌ قائمٌ، لا ينتهي إلى أن تقوم الساعة، وهي فرض على المسلمين، فرضٌ كفاية، إذا قام بها من يكفي سقط الإثم عن الباقين، وإن تُركت نهائياً فإنَّ المسلمين يأثمون جميعاً لتركهم هذا الواجب.

ثم بعد الدعوة إلى الله، من آمن بالله وقبل الدعوة وصار من المسلمين، فهذا قد عاد إلى رشده، ورجع إلى صوابه، وأنقذ نفسه من الكفر والشرك، وأنقذ نفسه من النار، فنحن ندعوهم لأجل مصلحتهم وهدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، عملاً بأمر ربنا سبحانه وتعالى.

ثم بعد الدعوة إلى الله من استجاب قبلناه وصار أخاً لنا، وصار منا ونحن منه، ومن أبى ولم يقبل الدعوة فهذا على قسمين:

القسم الأول: إنسان كفره قاصر على نفسه، لا يدعو إلى الكفر، ولا يدعو إلى الشرك، وإنما كفره وشركه قاصر على نفسه، فهذا يُترك، كالشيخ الكبير الهرم، والصبي الصغير، والمرأة، والرهبان في صوامعهم، فهؤلاء اختاروا لأنفسهم الكفر، ولا ينشرون الكفر في

الأرض، ولا يدعون إلى الكفر؛ فهؤلاء لا يُتعرض لهم، لأنهم لا يخشى منهم نشر الكفر والضلال، وإنما شرهم قاصر على أنفسهم، ونحن لا نملك هدايتهم، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(١).

والقسم الثاني: الذي يصدُّ عن دين الله، ويعارض الدعوة إلى الله، وينشر الكفر في الأرض، ويدعو إلى الكفر وإلى الشرك، فهؤلاء أوجب الله علينا قتالهم، كفاً لشرهم، وإظهاراً للحق، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٣) وإن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانِكُمْ يَعْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَعْمَ النَّصِيرِينَ^(٤)، وقاتلهم لأمرين:

الأمر الأول: كف شرهم عن الإسلام والمسلمين، وإتاحة المجال للإسلام أن يأخذ طريقه إلى الناس.

والأمر الثاني: لعلهم يهتدون بعد القتال، ويرجعون إلى الصواب، ولهذا جاء في الحديث: (عجب الله من قوم يدخلون الجنة

(١) سورة القصص، الآية: [٥٦].

(٢) سورة البقرة، الآية: [١٩٣].

(٣) سورة الأنفال، الآية: [٣٩ - ٤٠].

في السلاسل^(١)، أي: يؤسرون في القتال بالسلاسل ثم يتوبون ويسلمون فيتوب الله عليهم، ويدخلون الجنة.

فقتلنا للكفار ليس طمعاً في أموالهم، أو في بلادهم، أو طمعاً في سفك الدماء، بل الجهاد في الإسلام لغرض شريف والحكمة البالغة، وفيه إحسانٌ إلى البشرية، فهو ليس مقصوداً لذاته، وإنما هو مقصود لمصالح عظيمة.

تلك هي: المرتبة الثانية من التعامل مع الكفار، وهي القتال والجهاد في سبيل الله، إذا صار في المسلمين قوة واستطاعة للقتال، وتوفرت شروط الجهاد وانتفت موانعه فإنه فرض على المسلمين، فلا يجوز ترك الجهاد مع الاستطاعة، أما إذا كان المسلمون في حال لا يستطيعون الجهاد معها، فإنهم يؤجلونه إلى حين تسمح الفرصة، ويقتصرون على الدعوة كما كان الحال في سيرة النبي ﷺ، فإنه يوم أن كان في مكة، كان مقتصرًا على الدعوة إلى الله، وكان منهيًا عن القتال، لأنّ المسلمين لا يستطيعون القتال، ولو حاولوا لقضى عليهم العدو، فلما هاجر ﷺ إلى المدينة، ووجد الأنصار والأعوان، وصار للمسلمين قوة شرع الله الجهاد في سبيله، فبعد القتال إن لم يسلموا إما أن يدفعوا الجزية للمسلمين،

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٠).

ويدخلوا تحت حكم الإسلام، أو أنهم يعاهدون المسلمين، ويبقون في بلادهم ويجري بينهم وبين المسلمين عهداً لا يعتدون بموجبه على المسلمين، ولا يصدون عن سبيل الله، ولا يمنعون الدعوة إلى الله عز وجل، فيعقد معهم الهدنة، ويعقد معهم العهد، كما عقد النبي ﷺ العهود والهدنة مع المشركين، إذا كان ذلك في مصلحة الإسلام والمسلمين.

وحينئذٍ لا يجوز للمسلمين أن يعتدوا عليهم، فالعاهد يحرم الاعتداء عليه في دمه أو في ماله، لأنَّ له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين، فهو داخل في ذمة المسلمين، ولهذا قال ﷺ: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ریحها لیوجد من مسيرة أربعين عاماً)^(١)، هذا وعيدٌ شديد على من قتل كافراً معاهداً، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾^(٢)، والنفس التي حرم الله هي نفس المؤمن، ونفس الكافر المعاهد، فالكافر المعاهد حرم الله نفسه وقاتله، ومن قتله فقد خان العهد، وغدر بالذمة فعليه الوعيد الشديد، وأوجب الله فيه الدية، فمن قتل منهم خطأً فحكمه حكم المسلمين، فيه الدية،

(١) رواه البخاري (٣١٦٦).

(٢) سورة الإسراء، الآية: [٣٣].

وفيه الكفارة، ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ۖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ۖ﴾^(١).

انظر كيف أوجب الله الدية والكفارة في قتل الكافر إذا كان معاهداً، فمن قتل كافراً معاهداً خطأ كمن قتل مؤمناً خطأ عليه الدية والكفارة، وذلك لأجل العهد الذي بيننا وبينهم، والله جلّ وعلا قال: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۗ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۖ﴾^(٢)، ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۗ إِنَّ الْعَهْدَ لَمَوْظِعٌ ۚ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ۖ﴾^(٣).

وكذلك الذي ليس بيننا وبينه عهد، لكنه دخل إلى بلادنا بإذن من ولي الأمر، يحمل رسالة من دولته، أو يأتي سفيراً لدولته، أو جاء ليتعلم الإسلام، ويعرف الإسلام فهذا مستأمن، قال الله جلّ وعلا: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۖ﴾^(٤)، هذا هو المستأمن يحافظ على حياته، ولا يعتدى عليه، حتى يرجع إلى بلاده.

(١) سورة النساء، الآية: [٩٢].

(٢) سورة الإسراء، الآية: [٣٤].

(٣) سورة النحل، الآية: [٩١].

(٤) سورة التوبة، الآية: [٦].

وكذلك من أحسن إلى المسلمين ولم يسيئ إليهم، ولم يحصل منه أذى عليهم، أو حصل منه إحسان إلى المسلمين، فهذا يكافأ بالإحسان، كما قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِينِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(١)، فالكفار الذين لا يحصل منهم أذى على المسلمين، أو يذلون مصلحة للمسلمين، فهؤلاء يكافئون؛ لأنَّ دينَ الإسلام دينُ العدالة والوفاء، فيبرون ويقسط إليهم بأمر الله سبحانه وتعالى، وكذا الوالدان إذا كانا كافرين فإن على الولد أن يبرَّ بهما معروفاً لكن لا يتبعهما على دين الكفر، لكن لا يسقط حقهما - حق البر بهما - عن الولد، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي غَمَمٍ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۗ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۗ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۗ^(٢)، فيعاملهما ولدهما بالإحسان.

جاءت والدة أسماء بنت أبي بكر الصديق، جاءت إليها في المدينة وهي كافرة تطلب منها المساعدة والإعانة، فتوقفت أسماء رضي الله عنها حتى

(١) سورة الممتحنة، الآية: [٨].

(٢) سورة لقمان، الآية: [١٤ - ١٥].

سألت النبي ﷺ قالت: إن أُمي قدمت وهي راغبة-يعني محتاجة- أفأصلها؟ قال: نعم صلي أمك^(١).

كذلك الذي يدخل إلى بلادنا مستقدياً لعمل ما فهذا يدخل في حمايتنا، وفي ذمتنا، ولا نعتدي عليه، ولا نترك أحداً يعتدي عليه أو يؤذيه حتى يرجع إلى بلاده، لأننا نحن الذين استقدمناه، وأمانه، فيجب أن نفي له بالحق؛ لأنّ الإسلام ليس دين خيانة، أو دين غدر، والاعتداء عليه تنفير للكفار عن الدخول في الإسلام، وأمّا إذا رأوا هذا التعامل الطيب من المسلمين فهذا مدعاة لأن يدخلوا في الإسلام ويدركوا عدالة الإسلام، والله نهى عن العدوان على الكفار، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾^(٢).

فلو حصلت خصومة بين كافر ومسلم عند القاضي، فالقاضي لا يحيف مع المسلم إذا كان الحق مع الكافر، فإنه يحكم له على المسلم ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ.....﴾.

أي دين هذا الذي هذه مزاياه؟! وهذا تعامله مع الناس؟! هذا دين عظيم، لو أن أهله عرفوا أحكامه، ونفذوها لصار لهذا الدين مزية عظيمة كما كان في عهد النبي ﷺ.

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٩).

(٢) سورة المائدة، الآية: [٨].

أذكر قصة على عهد النبي ﷺ من تعامله مع الكفار: جيء بشمامة بن أثال سيد أهل اليمامة كافراً، أسرته سرية رسول الله ﷺ وهو قادم يريد العمرة، فأسروه وجأؤوا به إلى المدينة وهو كافر، فربطه النبي ﷺ في سارية في المسجد، وجعل كلما مرّ عليه الرسول ﷺ قال: ما وراءك يا ثمامة؟ فيقول: خير يا محمد، إن شئت مالا فخذ مالا، وإن عفوت تعف على شاكر، وردد عليه ﷺ كلما يمر عليه يقول: ما وراءك؟ فيجيبه بهذا الجواب، في النهاية قال ﷺ: (أطلقوا ثمامة)، فأطلقوه فذهب ثمامة إلى نخل قريب من المسجد فتوضأ، وتطهر ثم جاء الرسول ﷺ وقال: أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، والله ما على وجه الأرض شخص أبغض إليّ منك، ولا على وجه الأرض وجه أكره عندي منك، ولا على وجه الأرض دين أكره إليّ من دينك، والآن والله يا رسول الله إنك أحبّ الناس إليّ، وإنّ دينك أحبّ الأديان إليّ^(١).

إنّ الرسول ﷺ تعامل معه تعاملًا حسنًا؛ لأنه في ذمة المسلمين، وأسير عندهم، ولم يسيء إليه، فكان ذلك سبباً في إسلامه، وكان ذلك سبباً في ضرب ثمامة الحصار على أهل مكة، لأنهم كانوا يمتارون من اليمامة الحبوب، فثمامة لما أسلم منع أهل مكة من استيراد الحبوب من اليمامة.

(١) أخرجه البخاري (٤٣٧٢).

فهذه نتيجة رفق الرسول ﷺ بهذا الأسير، فالله جلّ وعلا قال في مدح الأبرار: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِمْ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾^(١). فالله جعل الإحسان إلى الأسرى من صفات الأبرار، وكان هذا من أسباب دخول كثير منهم في الإسلام.

الحاصل أن الشاهد من هذا أن الكافر إذا كان بيننا وتحت أمتنا؛ فإنه لا يجوز لأحد أن يتعدّى عليه، ومَنْ تعدّى عليه فإنه عاص لله ورسوله، ومستحق للعقوبة؛ لأنه أساء إلى الإسلام، وشوهه، كذلك نتعامل مع الكفار في المباحات من البيع والشراء، واستيراد البضائع، واستيراد الأسلحة، والانتفاع بخبراتهم لأن هذا مما أباحه الله سبحانه وتعالى، وهذا فيه قوة للمسلمين.

وكانوا في عهد النبي ﷺ يتاجرون مع الكفار، ويشترون منهم ويبيعونهم، فهذا من المصالح بين الناس، وكذلك أهل الخبرة منهم نستفيد من خبرتهم؛ لأن النبي ﷺ لما خرج مهاجراً من مكة إلى المدينة استأجر رجلاً من الكفار وهو عبدالله بن أريقط الليثي، كان هادياً خريئاً، فاستأجره ليدله على الطريق^(٢)، فاستفاد من خبرته في الطريق،

(١) سورة الإنسان، الآية: [١٨].

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٦٣).

ودفع له الأجرة، فهذا من مصالح المسلمين وهذا أيضاً مما يتيح الفرصة للكافر في أنه يرغب في الإسلام إذا رأى هذا التعامل العجيب، وهذا التعامل الطيب.

فالحاصل أن دين الإسلام دين الدعوة ودين الجهاد في سبيل الله، الجهاد وفق الكتاب والسنة، وليس العدوان والاعتداء على الناس المستأمنين والمعاهدين بالتفجير أو بالعدو والخيانة، هذا ليس من الإسلام ولا من أخلاق الإسلام، بل من أخلاق أهل الشر والخونة، وليس من أخلاق المسلمين.

فعلينا أن نتنبه لهذه الأمور العظيمة، ومنها التعامل بين المسلمين والكفار، ولا يمكن هذا إلا بالرجوع إلى كتاب الله، وإلى سنة رسول الله ﷺ، وإلى كتب أهل العلم.

كذلك مما نتعامل به مع الكفار أنهم إذا كانوا أهل ذمة، أو أهل عهد يعيشون في بلادنا وتحت ولايتنا؛ فإننا نمكنهم من مزاوله عباداتهم لكن فيما بينهم سراً، ولا يظهرون ذلك بين الناس، وإنما يعملونه في بيوتهم والأمكنة الخاصة بهم، أما أنهم يظهرون عباداتهم في بلاد المسلمين فهذا لا يجوز، وليس هذا من حقهم.

الحاصل أن التعامل مع الكفار في دين الإسلام له مجالات كثيرة، وله أحكام، وله ضوابط نجدها في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ، وفي سيرته ﷺ وفي كتب العلم. فمن أراد أن يعرف هذه الأمور فليراجع المصادر الموثوقة من كتب أهل العلم مثل كتاب: «أحكام أهل الذمة لابن القيم»، بعد كتاب الله وسنة رسوله وسيرته ﷺ؛ لأجل أن المسلم يكون على بصيرة من هذا الأمر، لأنه لُبس على الناس الآن في أمر التعامل مع الكفار، فظن أناس من المتطرفين، أو من المغرضين أن دين الإسلام دين عدوان، وأنه لا يفي بالعهود، وأن حكم الكافر أنه يقتل، ويسفك دمه ويؤخذ ماله دون ضوابط شرعيه، ودون رجوع إلى ولاية الأمور، وإلى أهل العلم مما سبب ارتباكاً عند المسلمين، وسلط الكفار على المسلمين، وصار الكفار الآن يصفون كل مسلم بالإرهاب، بسبب تصرفات هوجاء من بعض جهلة المسلمين.

فالواجب أن نتقي الله سبحانه وتعالى، وأن نرجع إلى ديننا رجوعاً صحيحاً، فنسأل علماءنا ونرجع إلى أهل العلم، ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۗ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١).

وقفني الله وإياكم وجميع المسلمين لمرضاته، ووقفنا جميعاً للعلم
النافع والعمل الصالح والفقهاء في دين الله، وصلى الله وسلّم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...